



عن دار «الكرمة للنشر والتوزيع»، ستصدر قريباً الرواية السابعة للكاتب والباحث المصري عز الدين شكري فشير، بعنوان «كل هذا الهراء».

صدرت عن دار «صافي للترجمة والتوزيع»، بأميركا، الترجمة الإنكليزية لديوان «قهوة الحرب» للشاعر السوداني أسامة سليمان، من ترجمة العراقية المقيمة بواشنطن فائزة سلطان.



كتب

## ترجمة جديدة لكتاب «الاستشراق» تعيدنا إلى جدل الشرق والغرب

● نذير جزماتي يبحث عن البساطة التي يريدها إدوارد سعيد ● كتاب يثير طيفا من الأفكار حول المعرفة والهيمنة



نظرة الغرب إلى حضارة الشرق بعيون مختلفة (لوحة للرسم جان جيوم جيروم)

المخابراتية، ومؤسست الرحلات، والحملات العسكرية، إذ كلها تصنع نوعاً من السياسات التي تؤكد فرضية السيطرة، وفرضية القوة، بعيداً عن أي توصيف للتحضر والتمدن، أو لعلاقة الشرق بتاريخ الحضارات والآيات، وهو ما دفع سعيد لوضع الخطاب الاستعماري في سياق فرضية «صنعة الشرق» كما يقول بنجامين نرزا ثيلي، لأن الاستعمار سيكون هنا هو التعبير عن «القوة التوسعية لدى شعب ما، هو قدرته على إعادة إنتاج نفسه»، وهو ما يقود إلى فضح الاستشراق من منطلق ما يثيره من اغترابات داخلية عند المستشرقين، والتي تستبدى تجلياتها عبر صعود مظاهر الصراع والعنف، وبما يجعل الاغتراب العربي والإسلامي مدخلاً لاحتضان الأصوليات الجهادية.

هذا التصور هو ما يجعل إدوارد سعيد أكثر ثقة بأدلجة نظرة الغرب للشرق، ومحاولته الدائمة لإخضاعه، وتهذيبه، وتكريسه كقيمة متخفية، أو مجالاً وظيفياً لتتبع أثر التشكلات الأولى مثل الأديرة، والمظاهر الجنسية، والأنثروبولوجيا البنيوية عبر معرفة عادات الشرقيين في الغذاء والتدين واللغة، فضلاً عما يعنيه من تمثيلات للخطاب عند سعيد، وألية نقده الحاد والصادم، بوصفه نقداً للعقل الإمبريالي من جانب، ونقداً للعقل العبادي والعقابي الذي تمثله مؤسسة الاستشراق الغربي ثانياً.

ويشير إدوارد سعيد في الفصل الثالث «الاستشراق الآن» جدلاً حول هوية الاستشراق المعاصر، والذي يمكن أن تمثله الشركات العابرة للقارات، أو الجامعات، أو الأجهزة

تضم محاور الكتاب ثلاثة فصول، جاء الفصل الأول بعنوان «التعرف على الشرق، الجغرافيا الخيالية وتمثيلاتنا/ شرقنا الشرق، والمشاريع والأزمات»، حيث حاول الكاتب من خلالها تقصي كل الأفكار والموضوعات السياسية التي ترتبطت بنظرة الغرب للقضايا العربية، وللجغرافيا العربية وللدن الإسلامي، وهو ما يجعله يضع وعد بلفور في سياق السيطرة الاستعمارية أولاً، وسياسة الإخضاع ثانياً، وتعبيراً عن النظرة إلى الشرق بوصفه تابعا وخاضعا وضمن جغرافيا متخلّفة وفاقدة للأهلية ثالثاً.

وفي الفصل الثاني «البنى الاستشراقية وإعادة خلق البنى»، ينطلق إدوارد سعيد من الرؤية الثقافية للشرق، تلك التي تبناها روائيون مثل فلوبيير، ومفكرون عنصريون مثل أرنست رينان، فالأول يمثل أنموذجاً للغربي الرومانسي، الذي لا يرى في الشرق إلا مجالاً روحياً وسحرياً للجمال المُتخيل وللمحظيات، وأن هذا الغموض الساحر يستدعي الكشوفات الأوروبية، والإسفار والرحلات، وهي بالطبع محاولات لعقلنة الاستعمار، ولوضع الشرق في سياق عالم غرابي، تضح فيه الحكايات والخرافات، وتمثّلها عبر «الإهتمام بالحكايا القوطية والأشعار الروعبية»، كما يقول سعيد.

أما أرنست رينان فقد كان يعتمد على توظيف القوة الثقافية من منطلقاتها اللغوية والأنثروبولوجية والعنصرية، بوصفها سلطة، وهيمنة، ومن الصعب مساواة الشرق بالغرب، لأنه سيكون خاضعاً للنظرة المسيحية، و«العلم العلماني» كما يسميه سعيد.

### مفارقة توصيف الشرق

يضعنا إدوارد سعيد في مبحث «الإقامة في الشرق والبحث: متطلبات صناعة تأليف المعاجم والخيال» أمام مفارقة توصيف الشرق من قبل رينان، وكيفية إخضاعه للمقارنة، إذ ينطلق من أوهام فكرته المتعالية، تلك التي يرى من خلالها «أن الشرق السامي يظهر لنا بأنه عرق غير مكتمل، يفضل بساطته، وهذا العرق إذا تجرأت على استخدام التناظر الوظيفي هو بالنسبة إلى العائلة الأوروبية مثل مسودة قلم الرصاص أمام لوحة فنية».

وفي مبحث «الحج والحجاج، بريطانيين وفرنسيين» يفصح إدوارد سعيد لنظرة الغرب للشرق، وأوهام مسيحيي الغرب لمسيحيي الشرق، لأن الشرق لا يملك في المخيال الغربي سوى أنه شرق جنسي، وسحري.

يظل كتاب «الاستشراق» للمفكر الفلسطيني الراحل إدوارد سعيد مثار جدل دائم، وبعثاً على الكثير من الأسئلة التي تتعلق بمنظورات الشرق والهويات الغربية والشرقية والصراعات التي ظلت تكتنف عالم هذا الشرق، فإذا كانت الحرب اللبنانية عام 1975 قد استفزت سعيد للكتابة عن الشرق الدامي، فإن وراء هذا الكتاب حروباً أخرى، ومؤسست أخرى، وحساسيات ظل الشرق التاريخي، والشرق الإسلامي، والشرق السحري هاجسها العميق للقراءة والحفر.

### علي حسن الفواز

الأولى للكتاب، والتي حاول فيها سعيد وضع تصورات عن عملية غزو العراق من قبل الإمبريالية الأميركية والبريطانية بوصفها الوجه البشع للاستشراق الإمبريالي، فضلاً عن ترجمته لفصل جديد في الكتاب بعنوان «بعث 1995»، وأفكار جديدة استفزت الكاتب بعد أحداث حرب الخليج في التسعينيات من القرن العشرين.

### الاستشراق وفضاء الترجمة

يحاول المترجم نذير جزماتي في الطبعة الجديدة لكتاب «الاستشراق»، الصادر عن دار «نينوى للدراسات والنشر»، بدمشق، أن يجعل ترجمته قريبة من البساطة التي أرادها إدوارد سعيد، والتي اعترض فيها على ترجمة الناقد كمال أبو ديب، واصفاً

إياها بالترجمة المُعقدة رغم القبول الكبير الذي حظيت به تلك الترجمة، والتي بدت وكأنها أشبه بالصدمة الثقافية التي تلقفها المثقفون العرب من النقاد والباحثين والأنثروبولوجيين بنوع من الدهشة، إذ تناغمت أطروحات إدوارد سعيد مع نزعات ثقافية تاريخية ونقدية تتماهى مع أطروحات النقد الثقافي، مثلما أعطت للبعض منهم حيزاً لإعادة

قراءة «الفكر الإمبريالي»، بوصفه فكراً استشراقياً، له شغفه بفكرة الشرق، وبطابع التصورات التي وضعت هذا الشرق في المخيال الغربي، وفي سردياته، ونظراته للمقدس والسلطة.

تعيدنا هذه الترجمة إلى قراءات سعيد لمفهوم الشرق السياسي والشرق العنصري، اللذين اصطنع لهما الخطاب الغربي فضاء من التخيّلات التي تتعلق مع الهيمنة المعرفية والسياسية، حيث ينطلق الاستشراق من كونه مؤسسة إمبريالية كما يسميها سعيد، تقف خلفها جماعات وتوجهات سياسية وتجارية تسعى إلى معرفة الشرق والسيطرة عليه.

وضعت الترجمات المتعددة لكتاب «الاستشراق» للمفكر الفلسطيني الراحل إدوارد سعيد القارئ أمام قدرة سعيد على قراءة «العقل الاستشراقي» بوصفه عقلاً استعماريًا، وبوصفه كذلك عقلاً حضاريًا، فالناقد كمال أبو ديب، الذي ترجم الكتاب عام 1981 بعنوان «الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء» فتح أفقا واسعا لمعرفة هذه المقولات، ولحمولاتها العميقة في فهم خطورة الاستشراق، ووظيفته خطاب - على طريقة ميشيل فوكو - في قراءة وفحص المعرفة التي يحوزها الغرب بوصفها سلطة، وبوصف الشرق «خرافة» ظلت عالقة بالفهم الغربي للشرق، وبطابع الأدلجات السائدة.

من جهته وضع محمد عناني ترجمة للكتاب بعنوان «الاستشراق.. المفاهيم الأساسية للشرق» عام 2006، ينطلق من الفكرة التي أشار إليها المترجم بأنه «يؤمن بأن المترجم يحول الفكرة إلى لغة العصر وأن من حق القارئ العربي أن يطلع على آخر صور كتاب «الاستشراق» لسعيد الذي اعتبره عبقرياً يختلف في فهم نصوصه المترجمون».

وفي هذا السياق، صدرت أواخر العام الماضي 2016، ترجمة جديدة لكتاب «الاستشراق» تعكس هذا الاهتمام، فالكتاب ينطلق من مسؤولية البحث عن إضافات جديدة في الكتاب، وهو ما عمد إليه المترجم نذير جزماتي، من خلال ترجمة المقدمة الجديدة والمهمة للكتاب بتوقيع إدوارد سعيد عام 2003، أي بعد خمس وعشرين سنة على صدور الطبعة الإنكليزية

◀ كتاب تناغم مع أطروحات إدوارد سعيد مع نزعات ثقافية تاريخية ونقدية تتماهى مع أطروحات النقد الثقافي

### إصدار حديث

## 80 شاعرا من الإمارات

□ أبو ظبي - يضم الجزء الثاني من كتاب «تراثنا من الشعر الشعبي، من جمع وتحقيق الأديب الراحل حمد خليفة أبوشهاب، قصائد متنوعة لثمانين شاعرا من الإمارات.

يقع الديوان في 511 صفحة من القطع المتوسط، ويحمل بين طياته معلومات، وسيرا ذاتية، إضافة إلى قصائد لمجموعة من قدامى الشعراء الإماراتيين.

ويتصدر الكتاب، الصادر عن أكاديمية الشعر التابعة للجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية، ضمن سلسلة الأعمال الشعرية الكاملة، بإشراف سلطان العميمي مدير أكاديمية الشعر، مقدمة للراحل الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، أبرز فيها المخزون الإماراتي الغني، وتجنز الشعر الذي حمل بين طياته أسمى معاني القيم الأصيلة والسمة، وسجل ما تتميز به الإمارات من تاريخ وحضارة.

وفي مقدمة الكتاب يشير الأديب أبوشهاب إلى أنه سعى إلى تجميع أبرز القصائد التي تركها الشعراء حتى لا يضيع هذا الإرث الضخم، وحتى تكون شاهداً على الموروث الإماراتي وتكون مثالا يحتذى به عند الشعراء الشباب.

كما يذكر المؤلف بأنه حاول جمع لطائف العبارات وأحلى الكلمات، فبينما أنت تقرّأ فيها عجائب ما يعانیه المحبوب من صود أحبابه، ترى فيه حلولاً معقولة لبعض مشاكلهم، فهو لا يخلو من الحكم والأمثال ولا من وصف ألم الصود وممزجا بوصف الجمال.

لمراسلة المحرر  
culture@alarab.co.uk

## مريض نفسي يكتب مذكراته في «مصحة الكوثر»

معباً بالانكسارات التي يمتزج فيها الخاص مع العام. ويضيف «تأتي المقاطع المتناثرة عن استعادة العوالم الأولى للشارد/ البطل دالة، ليس من كونها وصلاً لمساحات التقاطع والجدل ما بين الماضي والحاضر في النص فحسب، ولكن من كونها تقدم التاريخ الشخصي لذات مولعة بالتنفيس عن مآزقها ومآسيتها بلا خوف وبلا وجل، فالكتابة هنا تتدرج وصولاً إلى ذلك الجوهر الإنساني الثري الذي يحوي سر الكتابة والوجود في أن».

يذكر أن علي عطا، كاتب وشاعر مصري، صدرت له من قبل ثلاثة دواوين: «على سبيل النموية» عام 2001، و«ظهرها للحائط» عام 2007، و«تمارين لاصطياد فريسة» عام 2013، وله ديوان قيد النشر بعنوان «من يوميات صائد الفراشات».

حامد- حنان- الأطباء بتنوعاتهم، الصغير منهم والكبير- الممرض- الطاهر يعقوب)، ويتماس مع ذلك حضور أسماء واقعية لشخوص حقيقيين وبما يسهم في المزيد من إيهام القارئ بواقعية الحدث الروائي (حلمي سالم/ إبراهيم أصلان)».

ويوضح عبدالله أن إمكانات التخييل في النص تنطلق من مأساويته واستلهامه جغرافيا سردية جديدة ومختلفة، ولعبه في فضاء مكاني مازوم بالأساس، وأبطاله بالضرورة غارقون في متن الأزمة/ المأساة، فمستشفى الأمراض النفسية هنا براح شائك للشارد، وفضاء مثقل بالمرارة أمام المتلقي، وسياق

المفتتح، والتي تليق بنص متوتر بالأساس على المسارين النفسي والفني.

و يتجلى ذلك في الحكى عن المكان المركزي (المصحة) بشكلها الغارقين في المأساة، والممثلين لماس تتجاوز نواتهم المعتلة إلى واقع محمل بالزيف والاستبداد والكرهية، وصولاً إلى التوظيف الدال لتقنية الرسائل، عبر خطاب حنان إلى أبيها ويكل ما يحمله من مشاعر غمضة وإحساس بحتمية استدراك ما فات.

وعن الرواية، الصادرة عن «الدار المصرية اللبنانية»، يقول الناقد يسري عبدالله «إن تعدد لغات الشخص هنا يحسب للنص تاماً: (الشارد/ البطل-



## من غير كلام

ينصب على موضوع الطائرات الورقية، كان الحديث تقنيا، وكنتمنا متفاهمان بشكل كامل، لقد فهمت في هذه الأهمية أن التواصل ليس له علاقة بالمفردات».

أنا شخصياً، عرفت يوماً مثل هذه التجربة، ففي زيارتي الأولى إلى أنزبريجان، التقيت الشاعر نبي خزري، ولم أكن أعرف كلمة واحدة من اللغة التركية، ولم يكن يعرف اللغة العربية، لكننا صرنا صديقين، وكنا نتجول ساعات طويلة في النهار وفي الليل، ولم يشاركنا في جولاتنا شخص آخر، وكان يمر بي حيث أقدم في الفندق، ونكمل جولاتنا من دون ملل، سعيدين متفاهمين من دون حاجة إلى اللغة.

وإلى الآن، حين أضطر إلى الحديث، في جلسة ما، أو في لقاء مع آخرين، أشعر بعدم الرضى بعد انتهاء اللقاء، وأشعر بالسعادة حين أكون مستمعاً، فاستفيد مما سمعت من الآخرين، وأكتشف أن الحديث حين يطول يكون أكثر سطحية ويكثر فيه التكرار.

العامل الوحيد للتعلم وتلقي المعرفة، بل ما كانت الكلمات الوسيلة الوحيدة لإدراك التواصل، فالاستماع إلى الموسيقى وتامل الأعمال التشكيلية والاستماع إلى الشعر بلغات لا نعرفها أحياناً، كل هذه المفردات تفتح أبواباً واسعة على التواصل والتلقي والإدراك.

اطلعت قبل سنوات على حوار متبادل بين مبدعين تركيين كبيرين، هما الروائي يشار كمال والرسام عابدين دينو، وفي هذا الحوار الذي ترجمه محمد المرزبودي، قال عابدين دينو ليشار كمال «هل تذكر أمسية قضيناها عند زوجي كايوا؟ وبعد طعام العشاء اكتشفنا أنك كنت تتناقش مع زوجي كايوا بحماس في ركن قصي من الصالون، مع أنه لم يكن يتحدث ولو بكلمة واحدة باللغة التركية، وأنت لم تكن تعرف كلمة واحدة في اللغة الفرنسية، ومع هذا، كنتنا تتجادلان من دون انقطاع منذ فترة طويلة، ناسين حضورنا بصفة كلية، وكان حديثكما

كلمات... وإن توقفت عند هذا القول، فلأن الكثيرين ممن عرفتهم، قالوا عني أو كتبوا، بانني استمع إلى الآخر، أكثر مما أتحدث، رغم أنني أحب أن أتكلّم، ولا تنقصني القدرة على الكلام لكنني أظلم الصمت أحياناً وأكثر من سبب، منها أن ما أستمع إليه ليس سوى ثرثرة، فأدخل في نقق الصمت، من دون أن أستمع إلى ما يقال، فأشغل نفسي بالتفكير في شأن آخر، أو أن ما يُقال مهم، فأصمت مستمعاً، وأتعلّم مما أستمع إليه. ومن تجربة اجتماعية طويلة، صرت أعرف أن الذين لا طاقة لهم على الاستماع، يصعب تعلمهم، وتفوتهم فرص التعلم واكتساب المعرفة والإغتناء بتجارب الآخرين.

وإذ كنا قد تعلمنا الصمت والاستماع للأخرى، بتأثير العائلة والمحيط الاجتماعي، فإننا تعلمنا من هذا المؤثر أشياء ما كان يمكننا أن نتعلمها من القراءة، ومن ثمّ تعلمنا، إن الكلام ليس هو

حميد سعيد  
كاتب من العراق



□ يقول الكاتب الفرنسي الحائز على جائزة نوبل جان ماري لوكولزويو في حوار موسع أجراه معه جان لويس إيزين وترجمه محمود عبدالغني، وقد اطلعت عليه في كتاب من منشورات دار أزمّة الأردنية «إن الصمت لا ينظر إليه في المكسيك باعتبارها غياباً للكلمات، بل باعتباره وسيلة أخرى للتعبير، ويمكننا مقارنة صمت هنود أميركا، بلا عنف الهنود في مرحلة غاندي. عندما يصمت المكسيكيون، فلأن لهم أشياء مهمة يريدون قولها، ويجب فهم تلك الأشياء، حتى في السياسة، غالباً ما يكون الصمت هو الأقوى، هو من يتكلم».

ويقول لوكولزويو «يتم إقحام الأمور من دون قول، ويجب أن يفهم ذلك بنصف كلمة، كما يقال، وهناك أشياء تفهم من دون

